

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ،
اقرأ ، وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان
ما لم يعلم . » « صدق الله العظيم »

اقرأ في هذا الكتاب تاريخ تحول تم في فترة تقل عن ربع قرن ،
وهو حدث لا نظير له في التاريخ العالمي . إذ ليس هناك
مصلح واحد أحدث مثل هذا التغيير في حياة أمة بأكملها ، تقطن
بلاداً واسعة الأرجاء ، وما من مصلح ألفى قومه يخرون للأذقان
سجداً ، مثلما وجد محمد (ص) للعرب ، وليس ثمة أحد سها بقومه مادياً
وعقلياً وروحياً إلى الآفاق العليا ، التي أخذ محمد (ص) بيد
قومه إلى رحابها ، مع أن وثنتهم كانت على حال من التناصل
والاستقرار ، وخرافاتهم وعاداتهم كانت على نحو وثيق من الإحكام
والتغلغل وسلطان التسلط . ولكن جهد محمد (ص) ، خلال ثلاث

وعشرين سنة ، بدلهم تبديلا شاملا ، فأصبحت عبادة الأصنام ، وكل ما عدا الله ، سواء في السموات أم في الأرض ، سبية وعارا في جبين الإنسانية . وانمحت معالم الوثنية في الجزيرة العربية قاطبة ، وتيقظ في الأمة كلها الشعور بالكرامة الإنسانية الحققة ، وأدركت الأمة حماقة السجود للأشياء ، التي خلقت ، ليهيمن عليها الإنسان ويسخرها وللقوى التي يطلب إليه أن يتسلط عليها ويقهرها . ولم يتطهر للعربي فقط من الرذيلة والفجور العلني ، بل اندفع ، في رغبة جارفة ، نحو الإتيان بأفضل الأعمال وأنبلها ، في سبيل ما هو أسعى وأعم من الوطن ، وأنبل وأشمل من القومية ، في سبيل الإنسانية . وقد اندثرت عادة الجور على الضعفاء والمظلومين ، كأنها مرت بها عصاة سحرية أحالتها قوانين عادلة معقولة . واختفت الخمر ، التي عكف عليها العرب جميعا ، منذ أزمان سحيقة ، اختفاء تاماً ، بحيث أصبح من غير المألوف وجود الكؤوس ، وأواني الشراب نفسها ، التي كانت تتخذ لاحتساء الخمر وحفظها . وقضى على الميسر ، ودالت دولة الروابط المنحلة بين الجنسين ، مخفية للطريق للعفة ، في أعلى مراتبها . واستحال العربي - الذي كان يعد الجهل مفخرة - إلى مكلف بالمعرفة ، يغترف العلم من كل معين ، حشما وجد إليه سبيلا . وأكبر من هذا وذلك اقتدار النبي (ص) على أن يخلق من البلاد العربية وحدة مترابطة ، بعد أن كانت شيعا متعددة ، في قتال طاحن مستمر ، بعضها مع بعض ، بما أوشكت به أن تتردى في هاوية الجحيم . فأصبحت الأمة محكمة الروابط ، بفضل ما جاء به الدين الجديد .

ولم يسبق لإنسان قط أن نفخ في أمة مثل هذه الحياة للقشبية ، على هذا
النسق : حياة تغلغت في نواحي للنشاط الإنساني ، انقلاب وتحويل
في حياة الأسرة ، وظروف المجتمع ، وملابس الأمة ، ومطالب
الأوطان ، وبعث مادي ومعنوي ، وعقلي وروحي ، على حد سواء .
وصفوة القول ، أن للنبي (ص) ، كان عند لحاقه بالرفيق الأعلى
قد خلف وراءه :

١- دولة موحدة ، لا فضل فيها لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ،
ولا دين لها إلا الإسلام ، دين التسليم لله ، جل شأنه ، تسليماً مقروناً
بالإيمان للعميق في وحدانيته ورسالة نبيه (ص) . ولا فضل فيها بين
السلطتين ، الزمنية والروحية ، على نحو ما كان جارياً في للدول
المسيحية . بل كان الأمر موكلًا لله ورسوله وللشورى ، إذ أن
المؤمنين متساوون في كافة الحقوق والواجبات ، ولا دستور لهم إلا
القرآن ، الذي أنزل على محمد (ص) ، يهتدون به في أمور دنياهم إلى
كل ما يصلح آخرهم . وقد اشتمل القرآن على كل أنواع
التشريعات - الجنائية ، والمدنية ، والأحوال الشخصية - فقد
وضح للقواعد لتكوين الأسرة ، وجعل لكل أطرافها حقوقاً
وواجبات . كما وضع القواعد لقيام المعاملات بين المسلمين ،
غير مهمل ناحية العقيدة والروح ، وتغذيتها بما فرضه من : صلاة ،
وزكاة ، وحج ، وإبطال للعادات السيئة : كشرب الخمر ،
ولعب الميسر ، والزنا ، ووأد البنات ، وقتل الأبناء .

٢- ووحدة وائتلافاً بين العرب جميعاً ، وكفأً عن المنازعات والحروب ،

والتجاء إلى الحاكم الأعلى - الله ورسوله وأولى الأمر - وذلك يعني القرآن ، وما شرعه ، ليسير عليه الحكام في تسيير دفة الأمور .

٣- وامتلاء للنفوس بمبدأ التضحية والفداء ، بما أكده لهم إيمانهم بالله ، من حيث مقاومة الذين تحدتهم نفوسهم بأن يفتنوه عن دينهم وجهادهم ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله . وهذا هو الجهاد في سبيل الله ، ومن قضى فيه ، فقد استشهد ، والشهداء نزلاء الجنة ونعيمها ، الذي جاء وصفه مفصلاً في القرآن .

٤- وتطهير العقول من الخرافات والأوهام ، وإعدادها للتعليم ، وفتح مغاليق العلم والحضارة .

٥- وأمة متحدة متوثبة ، يحدوها الحماس للإسلام والوطن ، بعد أن راضها النبي (ص) على الإيثار والخضوع لولي الأمر ، كائناً من كان . « اسمعوا وأطيعوا ، ولو أقر عليكم عبد حبشي ، كأن رأسه زبيبة » . وكان هذا أكبر عامل على نجاح الخلفاء ، من بعده ، في قيادة هذه الأمة إلى النصر في ميادين استكمال وحدتها ، وتأديب العصاة والمرتدين ، ثم استخلاص دولة عظيمة ، تمتد من المحيط إلى حدود الصين ، من أيدي الروم وغيرهم ، أيام الخلافتين الأموية والعباسية . وإنا نرجو أن نكون قد وفقنا في معالجة تاريخ هذه الحقبة القصيرة الخطيرة ، معالجة تتفق وعظمة للنجاح الذي تكملت به جهود النبي (ص) . ولا يفوتنا قبل ختام هذا التقديم - أن نذكر بالحمد والثناء ، التشجيع القيم الذي تلقاه المؤلفون من رجال جامعة البصرة من لدن رئيسهم ، الأستاذ الدكتور عبد الهادي محبوبه ، الذي لا يألو جهداً ،

منذ استقلت الجامعة ، في معاضدة التأليف والترجمة والنشر ، معاضدة
تفسيح المجال للمختصين أن ينتجوا ، في ميادين تخصصهم ، الإنتاج الذي
يعيد للبصرة مجدها للعالمي الغابر ، ويجعل من الجامعة للفتية قلعة حصينة
للبحث في مختلف العلوم والفنون .

كما نشكر الزميل الفاضل الدكتور محمد أمين رشدي ، المدرس
بكلية العلوم ، لتصميمه الجميل لواجهة الكتاب . والله (سبحانه
وتعالى) ولي التوفيق .

المؤلفان

